أولا ـ نسب المرينيين :

ينتسب بنو مرين إلى قبيلة زناتة البربرية، وهم قبائل عديدة منهم بنو عبد الحق وبنو عسكر وبنو وطاس وبنو الكاس وبنو فودود وغيرهم كثير[1]، وقد كان هؤلاء يتمركزون بين فكيك[2] ووادي ملوية، ولم يكن بنو مرين خاضعين للموحدين، وقد تزعمهم جدهم مرين بن ورتاجنبن ماخوخ الزناتي الذي أهلته شخصيته لتبوؤ مركز قيادة هذه القبيلة[3] .

ثانيا ـ نهاية الدولة الموحدية وقيام دولة بني مرين :

1 ـ يعقوب بن عبد الحق المريني وقيام الدولة :

تعد نكسة العقاب 609 هـ / 1212 م بداية النهاية لدولة الموحدين إذ استغل بنو مرين الأمر لصالحهم وقضو على حكم آخر الخلفاء الموحدين الواثق أبو دبوس سنة 668 هـ/ 1269 م، ويعود الفضل في هذا إلى السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق المريني الذي هزم جيش الموحدين هزيمة نكراء بالقرب من مراكش وقتل خليفتهم ابي دبوس، وفتح العاصمة مراكش في محرم سنة 668 هـ[4].

وما إن أحرز يعقوب هذا النصر اتجهت أنظاره صوب المناطق الجنوبية والغربية لضمها لحاضرته الجديدة، فأرسل جيوشه لإخضاعها ودانت له كل المناطق الى جنوب المغرب الأقصى[5]،وفي الجهة الشرقية اضطر يعقوب إلى مهادنة الزيانيين للتفرغ إلى النصارى بالأندلس بعدما وصلته الاستغاثات، لكن يغمراسن رفض طلب الصلح ، فقفر يعقوب مواجتهم وتمكن من هزيمتهم وقتل فارس بن يغمراسن بن زيان، وعاث بأرض تلمسان فسادا وبعدما تمكن من هذا النصر عاد إلى فاس سنة 671هـ/ 1272م[6]، وفي السنة الموالية استطاع السلطان يعقوب فتح طنجة بعد استسلام أهلها، كما أرسل ولده

---

[1] إسماعيل بن الأحمر، روضة النسرن في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1369 هـ / 1962م،ص 11 ، أنظر أيضا، علي بن أبي زرع الفاسي ، الذخيرة السنية في تاريخ الدةل المرينية، الرباط، 1392هـ/ 1972م، ص 14 .

[2] فكيك ، بالمغرب الأوسط وهي عبارة عن قصور صحراوية ، على بعد مائتين وخمسين ميلا شرق سجلماسة... ، أنظر ، الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، وصف افريقيا ، ج 2 ، ط2، تحقيق ، محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 132 .

[3] عامر احمد عبد الله حسن، دولة بني مرين ، تاريخها وسياستها تجاه مملكة غرناطة والممالك النصرانية في إسبانيا 868 – 86 هـ / 1269 – 1465 م، رسالة ماجستير، كلية الدراسات جامعة النجاح، فلسطين، 1424هـ / 2003 م، ص 90 .

[4] ابن ابي زرع ، الأنيس ...، ص ص 306 – 307 .

[5] الناصري، الاستقصا ... ، ج 3، ص 27 .

[6] ابن أبي زرع، الذخيرة...، ص ص 130 – 133 .

يوسف لافتتاح سبتة فحاصرها وقطع عليها الموارد حتى استسلم صاحبها الفقيه أبو القاسم العزفي مقابل ضريبة سنوية يدفعها لبني مرين[1] .

2 ـ جهود يوسف بن يعقوب لتوطيد دعائم الدولة :

بويع يوسف بالجزيرة الخضراء من أرض الأندلس حين وفاه والده، حيث أُخذت له لبيعة من الأشياخ والوزراء سنة 685 هـ/ 1286 م،[2] وفي هذه الأثناء عقد معاهدة مع بني الأحمر يموجبها أبقى سيطرته على مجموعة من المدن الأندلسية منها الجزيرة الخضراء ورندة وطريف[3] كما ترك أخاه أبي عطية واليا على هذه المناطق وزوده بثلاثة آلاف من الجند وعاد إلى فاس في جمادى الأولى من نفس السنة[4].

حين عودته إلى فاس اهتم يوسف بالشؤون الداخلية لدولته بحيث فرق الأموال على القبائل واهتم بأمر الفقهاء والعلماء والجندوأطلق سراح المسجونين، كما عمل على استتباب الأمن بالبلاد فصلح أمر الرعية والبلاد[5]، وبالرغم من كل هذه الأعمال إلا أن فترة حكم يوسف لم تخل من الثورات فقد قام قام عليه مجموعة من الثوار كان أبرزهم محمد بن ادريس وعمر بن عثمان وطلحة بن علي وعمر بن يحيى بن الوزير الوطاسي .[6]

3 ـ حكم السلطان أبي ثابت عامر (706 – 708 هـ/ 1307 – 1308 م)

أبي ثابت عامر هذا هو حفيد السلطان يوسف، وقد توفي هذا الأخير ولم يرشح أحدا لخلافته فانقسم المرينيون إلى فريقين ، أحدهما يؤيد حكم أبي ثابت ممثلا في قبيلة بني ورتاجن لقرابتهم القوية من الأمير والثاني يمثل الأشياخ والحاشية التي أيدت حكم أبا سالم بن السلطان يوسف وبايعوه

[1] ابن أبي زرع، الذخيرة...، ص 137 .
[2] أحمد بن القاضي المكناسي ، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1973 م، ص 344 .
[3] لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، ط2، تحقيق، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1393 هـ/ 1973 م، ص 563 .
[4] ابن أبي زرع، الأنيس...، ص 377 .
[5] ابن القاضي، المصدر سابق، ص 344 .
[6] السلاوي، مصدر سابق، ج2 ، ص 12.

بالإمارة، حيث كان يقيم بالمنصورة من أحواز تلمسان[1]، لكنه لم يبق فيها مدة طويلة إذ عاد إلى فاس وعقد معاهدة مع ابي حمو وأبي زيان ولدا يغمراسن تقضي برفع الحصار عن تلمسان شرط عدم تعرض الزيانيين لمدينة المنصورة ولا للمتلكات المرينية[2]، ويذكر أن السلطان أبي ثابت قضى معظم سنوات حكمه في القضاء على المتمردين على حكمه .

4 ـ أبي الربيع سليمان بن عبد الله (708 – 710 هـ/ 1308 – 1310 م):

وهو حفيد السلطان يوسف بن يعقوب تولى الحكم يوم وفاة أخيه، وكان عمه علي أعلن الإمارة لنفسه في نفس الوقت، لكن الأشياخ والحاشية بايعو أبي الربيع فقام هذا الأخير بالقبض عليه وسجن بطنجة حتى وفاته[3]، وواصل سياسة أخيه في توطين الأمن والقضاء على الثورات الداخلية وعمل على تمتين علاقاته بينه وبين بني الأحمر(السلطان أبا الجيوش نصر) في الأندلس، بل إنه تمكن من السيطرة على مجموعة من المدن الأندلسية منها الجزيرة الخضراء ورندة، وتزوج من أخت السلطان ابن الأحمر[4]، وعلى العموم تميزت أيامه بالرخاء والهدوء والسكينة ، واتخذ القصور المشيدة بالرخام[5].

5 ـ السلطان أبي سعيد عثمان (710 – 731 هـ/ 1310 – 1331 م) :

هو عثمان بن السلطان يعقوب بن عبد الحق، كان من أهل العلم والحلم والعفاف متواضعا حازما في الدين لطيف الشمائل[6]، وفور وصوله الى العاصمة فاس فرق الأموال على القبائل والأجناد زالفقهاء والعلماء[7]، وباشر بنفسه رفع المظالم على الناس، وكان يتفقد أحوال الناس والمدن بنفسه، كما كما اهتم بإنشاء الأساطيل وبناء السفن لمدافهة الغزاة، فقد وصفه ابن الخطيب بأنه ممهد الدولة المرينية[8]، أول ماواجهه ابي سعيد هو نقض بني زيان لمعاهدات الصلح ، بل إنهم عملوا على حماية

[1] السلاوي، مصدر سابق، ج2، ص 44 ، أنظر أيضا، ابن القاضي، المصدر سابق، ص 275 .
[2] السلاوي، مصدر سابق، ج2 ، ص 44 .
[3] ابن ابي زرع، الأنيس ...، ص 393 .
[4] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الرابع، نهاية الأندلس وتاريخ العرب النتصرين، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417 هـ/ 1997 م، ص 116 .
[5] ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص 238 .
[6] ابن القاضي، مصدر سابق، ص 288 .
[7] ابن أبي زرع، الأنيس...، ص 297 .
[8] ابن الخطيب، الإحاطة...، ج3، ص 336 .

الثائرين على الدولة المرينية، وبسبب هذا سير السلطان المريني حملة حاصر بها تلمسان وخربها 186، كما ثار على السلطان عدي بن هند الهسكوري الذي أعلن العصيان ببلاد هسكورة، لكن السلطان المريني استطاع القضاء على ثورته سنة 613 هـ/ 1313 م[1].

6 ـ السلطان أبي الحسن المريني (731 – 752 هـ/ 1331 – 1351 م):

أجمعت المصادر على أن أبا الحسن كان من أهل العلم مولعا بالأدب، وكان يصاحب العلماء والمفكرين[2]، وكان منذ صغره حريصا على القراءة والسماع بالمساجد[3]، بويع بالإمارة في ذي القعدة سنة 731هـ/ 1331م[4]، وكان شغله الشاغل هو القضاء على النفوذ الزياني في المغرب الأوسط ، وكذا حركة الجهاد في الأندلس التي كرس لها الكثير من وقته .

وأهم حدث سياسي للدولة المرينية في عهد السلطان أبي الحسن هو استقباله لسلطان بني الأحمر ممد بن إسماعيل بن الأحم سنة 732هـ/ 1331 م، وكان موضوع المباحثات بينهما سقوط جبل الفتح في يد النصارى منذ سنة 709هـ/ 1310م، وضرورة استرجاعه بالتعاون بين الطرفين[5]، وبالفعل وبالفعل بفضل التعاون تمكنا من استرجاعه سنة 733هـ/ 1332م[6]، وأنفق أبو الحسن أموالا طائلة لتحصينه، فبنى أسواره و وألابراج والمسجد الجامع به[7]، لكن سلطان بني الأحمر لم يطل به العهد إذ قتل من طرف بني العلاء، ليعتلي يوسف الأول الحكم وحاول توطيد علاقاته مع المرينيين، والاستنجاد بهم من ضغط النصارى، فلبى أبو الحسن النداء[8]، وكعادته لبى أبو الحسن النداء وعبر الى الاندلس مع حشمه ووزراء دولته، وفي جزيرة طريف وقعت المكيدة على المسلمين بحيث توغلت

---

[1] ابن أبي زرع، الأنيس ...، ص 399 .

[2] محمد بن عبد السلام عبود، تاريخ المغرب، ج2 ،دار الكتاب، لبنان، 1961 م، ص 83 .

[3] محمد ابن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تحقيق، ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1401هـ/1981 م، ص 257 وما بعدها .

[4] تقي الدين أبي العباس أحمج بن علي بن عبد القادر العبيدي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، سنة 718- 745 م، ج3، تحقيق، محمد عبد القادر عطا، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1418هـ/ 1997م، ص 146 .

[5] ابن الخطيب، الإحاطة...، ج1، ص 536 .

[6] لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، تحقيق، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، 1347 هـ ، ص ص 81 .

[7] السلاوي، الاستقصا ...، ج2 ، ص 59 .

[8] محمد كمال شبانة، الدويلات الاسلامية بالمغرب، دراسة تاريخية حضارية، دار العالم العربي، 2007 م، ص 82 .

قوات العدو النصراني إلى جيش المسلمين وقتلت حريمه وحاشيته ، ونجا أبو الحسن إلى الجزيرة الخضراء ومنها عبر إلى المغرب، فكانت وقيعة عظيمة على المسلمين[1] .

ثالثا ـ ضعف الدولة المرينية وسقوطها :

لم تبق الدولة المرينية على حالها منذ مقتل السلطان أبي فارس عنان بدأ الوزراء يتحكمون في زمام الأمور، بل إن رقعة الدولة بدأت تتقلص بحيث استرد الحفصيون مدينة بجاية[2]، وتمكن أبو حمو حمو موسى الزياني من استعادة تلمسان بمعاونة قبائل بني هلال سنة 760هـ/1359 م[3]،وأول مظاهر سيطرة الوزراء على مقاليد الأمورماقام به الوزير الحسن بن عمر الفودودي حين حجب السلطان أبا بكر السعيد بن أبي عنان في منزله وباشر أمور الدولة بنفسه4[4]، وتتبع أبناء أبناء السلطان أبي عنان بالاعتقال[5]، وهذا مثال فقط لعشرات الأمثلة من الوزراء الذين تسببوا في ضعف دولة بني مرين وسقوطها يُضاف إلى ذلك تدخل بني الأحمر في الأندلس في الشؤون الداخلية لبني مرين والعمل على إضعافهم .

رابعا- نهاية الدولة:

كانت كارثة الطاعون التي حلت بالمغرب في القرن الثامن الهجري كفيلة بالقضاء على ماتبقى من قوة بني مرين، فقد وصفه السلاوي بأنه طوى كثيرا من محاسن العمران وأوهن من سلطان الدولة فخربت الأمصار والمصانع ودُرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل، وفي نهاية القرن الثامن كانت المجاعة العظيمة التي أهلكت الكثير من الساكنة[6]، حتى كانت فترة حكم عبد الحق بن أبي سعيد وهو آخر سلاطين بني مرين، والذي استوزر اليهود في بلاطه ، وقبض على بني وطاس وهم فرع من بني مرين ونكب بهم ويتعلق الأمر بالوزير أبا يحيى وأخويه أبي بكر وأبي شامة وعمهم

[1] محمد عبد الله عنان، نهاية الاندلس ...، ص 128 .
[2] الزركشي، مصدر سابق، ص 99 .
[3] الملك أبو حمو موسى الثاني الزياني، واسطة الملوك في سياسة الملوك، تحقيق، محمود بوترعة، دار الشيماء، دار النعمان للنشر، الجزائر، 1428هـ/2011م، ص 16
[4] أبو العباس أحمد القلقشندي ،صُبح الأعشى، ج5، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1333هـ/1915م ، ص 199 .
[5] السلاوي، الاستقصا، ج2، ص 103 .
[6] نفسه، ص 144 .

فارس فذبحهم حميعا[1]، فثارت عليه العامة وقُبض عليه وقُتل في رمضان سنة 869هـ/ 1465م[2]، وبهذا ينتهي أمر بني مرين.

خامسا ـ نظام الحكم :

اتخذ المرينيون نظام السلطنة شعارا لحكمهم عكس الموحدين، وتلقبوا بالأمراء، وتسموا بأمير المسلمين[3]، وأصبح السلطان يمثل السلطة السياسية العليا في البلاد، وكانت أمور الدين من شأن الفقهاء والعلماء في الدولة، ولم يستعمل بنو مرين لقب الخلافة، كما اتخذ هؤلاء لأنفسهم ألقابا فخمة مثل لقب القائم بالله[4]، وكانت البيعة للأمير تتم على مرحلتين، حيث يُبايع ولي العهد من طرف أهل الحل والعقد شيوخ الدولة من الوزراءوكبار رجال الدولة وهي البيعة الخاصة[5]، والمرحلة الثانية هي البيعة العامة وتتم من طرف الجيش والعامة والتجار والعلماء[6] وكان الحكم وراثيا يتم عن طريق ولاية العهد مثلما فعل السلطان السلطان يعقوب بن عبد الحق مع ولده أبو مالك عبد الواحد[7].

[1] السلاوي، الاستقصا، ج2، ص 159 .
[2] الزركشي، مصدر سابق، ص 156 .
[3] ابن أبي زرع، الذخيرة ...، ص ص 35 – 35 .
[4] إسماعيل بن الأحمر بن الأحمر، النفحة النسرينية واللمحة المرينية، ص 23 .
[5] ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص 238 .
[6] نفسه، ص 242 .
[7] السلاوي، الاستقصا ...، ج2 ، ص 15 .